

معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذاهبها ولا يشبهه على ذي بصيرة ولا يخيل عند أخي معرفة ، وأما من لم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه ان يعرف إعجاز القرآن الا بأن يعلم ان العرب قد عجزوا عنه واذا عجز هؤلاء عنه فهو عنه أعجز ، وذكر ان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم . ثم تحدث عن حقيقة المعجز وبيّن معنى إعجازه على أصول الاشاعرة بأنه لا يقدر العباد عليه وإنما ينفرد الله بالقدرة عليه . (١)

وألّف القاضي ابو الحسن عبد الجبار الاسد آبادي المعتزلي ( - ٤١٥ هـ ) في اعجاز القرآن ، وكان الجزء السادس عشر من كتابه « المغني في أبواب التوحيد والعدل » خاصاً بهذه المسألة . ورأيه ان الفصاحة والبلاغة تقومان على ضم الكلمات وتقارنهما ، وقد فسر اعجاز القرآن في ضوء هذه النظرة التي التقى فيها بالاشعرية في قولهم بالنظم .

وفي هذه البيئة التي سادت فيها آراء الاشعرية نشأ عبد القاهر الاشعري وفسّر فكرة الاعجاز تفسيراً يقوم على النظم ، وقد ألّف « الرسالة الشافية » ليثبت حقيقة الاعجاز ، ووضع « دلائل الاعجاز » ليبين أسرارها ، وقد قال في مدخله بعد ان اوجز فكرة النظم وتعليق الكلم بعضها ببعض : « واذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لحصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في منشور كلام العرب ومنظومه ، ورأيناهم قد استعملوها وتصرفوا فيها وكملوا بمعرفتها وكانت حقائق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال ، اذ لا يكون للاسم بكونه خبراً لمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال أو فاعلاً أو مفعولاً في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر فما الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب من الوصف حتى اعجز الخلق قاطبة وحتى

(١) ينظر اعجاز القرآن ص ٤٣٦ وما بعدها .